النزعة العدائية في قصيدة (لا تُصالح) للشاعر أمل دنقل

م. د. سهام رشيد خلاوي الزركَاني
جامعة سومر-كلية التربية الاساسية
sihamrasheed1984@gmail.com

ملخص:

يُعد النص الأدبي الحديث من أهم النصوص التي يمكن أن يعبر فيها الأديب عن نتاجه بأريحية كاملة، لما فيه من تنوع فكري وتشكيل جمالي يجد بها ذاته المصالحة او المندثرة داخل مشاعره سواء في رؤيته العاطفية أو الايدولوجية بشكل عام، فمنظومة العلاقات التأسيسية التي يختارها الأديب للتعريف عن نصه تحتاج معرفة سابقة لحقائق يعيشها أو هي مدار العناصر خيالية تجسدت من تجارب مصاحبة لمسيرة حياته ومن رؤيتنا لنص قصيدة (لاتُصالح) الذي ارتأينا أن نتخذه بحثاً في دراستنا لما ينطوي عليه من علاقات متماهية ترتبط مع كافة الافكار سواء أكانت افكار منوطة علي رؤية الماضي أو افكار ترتبط لعبق الحاضر وما يحويه من استمرارية وتفاعل الأخذ بالجانب الفلسفي المرسوم في عقل الاديب وانتقاله الى عقلية المتلقي ، فالسلوك العدائي (السايكوبيتي) له أسس متعددة تحاكي الواقع وتجسد الفكرة المندثرة في ذات كل فرد ، فالعدائية اما أن تكون فردية متضمنة العلاقة بين الفرد والفكرة الجانبية لها سواء أكانت فكرة تحمل فلسفة الحياة التي تعلمها الفرد من ماضيه والنسق الثقافي المتكرر ، أو عدائية جماعية تنطوي علي الفكرة العامة التي يتلقاها كل فرد من محيطه الخارجي بشكل عام ، وهذا الامر له نزعات مختلفة قد تكون متماهية أو غير متماهية في ذات الوقت .

الكلمات المفتاحية : النزعة العدائية، العدوانية ،التماهي ، امل دنقل ، لاتُصالح

The hostile tendency in the poem (Don't Reconcile) by the poet Amal Dunqul

L. Dr. Siham Rashid Khalawi Al-Zarkani
Sumer University - College of Basic Education
sihamrasheed1984@gmail.com

Abstract:

The modern literary text is considered one of the most important texts in which the writer can express his work with complete ease, because of the intellectual diversity and aesthetic formation in which he finds himself reconciled or scattered within his feelings, whether in his emotional or ideological vision in general. His text requires prior knowledge of the facts he lives, or it is the orbit of imaginary elements embodied from the experiences accompanying his life's path and from our vision of the text of the poem (Don't Reconcile), which we decided to take as a search in our study because of what it entails of identical relationships that are associated with all ideas, whether they are ideas entrusted with a vision of the past or thoughts It is related to the fragrance of the present and the continuity and interaction of taking sides The philosophical pattern depicted in the mind of the writer and its transfer to the mentality of the recipient. Hostile behavior (psychopathy) has multiple foundations that simulate reality and embody the vanished idea in each individual. Hostility is either individual, including the relationship between the individual and the side idea of it, whether it is an idea that carries the philosophy of life that the individual learned from His past and the repeated cultural pattern, or collective hostility

that involves the general idea that each individual receives from his external environment in general, and this matter has different tendencies that may be identical or not at the same time.

Keywords: hostility, aggressiveness, identification, Amal Dunqul, non-reconciliation

(التماهي العدائي في النص الحديث)

إن التماهي عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها بأحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص آخر ويتحول كلياً أو جزئياً تبعاً لنموذجه، وتتكون الشخصية وتتمايز من خلال سلسلة التماهيات(1).

أما العدوانية فيراها عبد المعطي هي "سلوك يهدف إلى تعمد إيذاء طرف آخر أو الإضرار به أو مخالفة العرف السائد في التعامل بين الناس ويأخذ صور متعددة بدنية كانت أو لفظية وسواء أكان مباشر أو غير مباشر، أو أنه "ردة فعل من شأنها ان توفر حوافز ضارة لكائن آخر وهو أيضاً أي شكل من السلوك الذي يتم توجيهه إلى كائن آخر(2).

اما احمد الزعبي فقد عرفه بأنه : هو سلوك مُوجه ضد الآخرين، والذي يُقصد منه الإيذاء للآخرين بشكل مباشر او غير مباشر(3).

والعدائية هي انفعال يندفع من شخص معين ضد شخص معين آخر، وقد يكون هذا الشعور بغيضاً مُقَنَّعاً أو فعلاً بغيضاً(4).

او هي ميل لكراهية الذات او الآخرين والاستياء منهم والحقد عليهم وتمني الاذى لهم والاعتداء عليهم(5).

ويعرفها اللهيبي: بأنها مشاعر تتمثل بالحقد والاتجاهات السلبية نحو الذات أو الآخرين أو كرغبة في الانتقام، ويكون نموها بطيء وتغيرها بطيء اتجاه الفرد(6).

وبحسب (Buss) فإن العدائية والعدوانية لهما خصائص معينة، فالعدوان فعل وهو هجوم يبدأ وينتهي، فهو نوبة تخمد، وله فترة زمنية محددة ومؤقتة ومختصرة، ولا تبقى النوبات مستمرة دون ان تخمد او تنخفض(7).

والعدائية اتجاهات سلبية ومشاعر تتمثل بالاستياء، والحقد، والكراهية، والرغبة في الايذاء، وهي نوايا مرضية ورغبات وتقويمات وتفسيرات وهمية اتجاه الاشخاص والاحداث (8).

يقول كولن ويلسون: (إن غريزة الحياة هي منبع الحب واللذة والبناء والميل الى الخير والسلام، أما غريزة الموت فهي منبع العنف والعداء وكل اعمال الهدم والكراهية والبغض بشكل عام، ويصدر عن التفاعل بين الغريزتين الاساسيتين في ائتلافهما وتعارضهما بناءٌ لجميع مظاهر وأنواع السلوك المختلفة)(9).

وهذه الغرائز موجودة في كل انسان ويجب التعبير عنها بسلوك عدائي او فعل عنيف وهذا ما يُطلق عليه علماء النفس بعملية **(التنفيس الإنفعالي)** أي إخراج هذه الغرائز المكبوتة والتعبير عنها بسلوك عنيف على الآخر؛ لان عدم التعبير عن هذه الغرائز يؤدي الى الكبت ومن ثم عنها بفعل عنيف على النفس(10).

وقد ينقسم ذلك السلوك كما اسلفنا الى سلوك بدني وسلوك لفظي ، ولآن الأديب إنسان يتأثر بتلك المشاعر والغرائز، فقد أطلق معظم الادباء ذلك الشعور وسجلوه في الادب، فكتبوا في الهجاء وكتبوا رسائل التهديد ذات الطابع الأدبي وغيرها من الاعمال الأدبية التي اطلق من خلالها الاديب مشاعر العداء تجاه فرد او مجموعة افراد، ومن هؤلاء الادباء الشاعر المصري (أمل دنقل)، ويتمثل ذلك العداء في قصيدته (لا تُصالح).

المحور الأول: العدائية الفردية

ارتبط مفهوم العدائية الفردية او الذاتية بموضوع النشأة والظروف المحيطة ارتباطاً وثيقاً، فدافع العداء يلعب دوراً كبيراً في نمو وتطور بعض اضطرابات الشخصية، وفي كثير من المشكلات النفسية والمشاكل التي تواجه الفرد في العصر الحاضر كالحروب والتعصب العنصري والقسوة على الانسان عموماً والاطفال على وجه الخصوص(11).

وفي حالة دنقل فإن الامر ينطبق عليه بشكل خاص ، فهو قد عاش فترة مليئة بالحزن والانكسار والحرمان منذ ولادته في صعيد مصر عام ١٩٤٠ لعائلة فقيرة في منطقة نائية منكوبة جراء الفقر، وعندما شبَّ دنقل توجه الى القاهرة بعد أن اكمل تعليمه الثانوي في قنا، وهنا كانت اول صدمة في حياته فقد ضربته عصا الفوارق الطبقية بين ابناء فلاحي الصعيد وابناء باشوات القاهرة، مما اثر كثيراً في نفسيته وجعله كارهاً لنفسه ولواقعه وفي ذات الوقت كارهاً للمترفين الذين كان همهم الوحيد هو المادة ومضايقة ابناء الطبقة الفقيرة، الصدمة الثانية كانت نكسة حزيران سنة ١٩٦٧ وانكسار مصر والعرب في الحرب ضد الكيان الصهيوني وهو ما شكل صدمة لكل العرب، وعبر فيها دنقل عن حزنه في رائعتي (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) و(تعليق على ما حدث)(12).

نتج عن الصدمة الثالثة اعظم قصائد دنقل (لا تُصالح)، والسبب الذي دفع (دنقل) لنظم هذه القصيدة هي إحباطه وغضبه جرّاء إطلاق الرئيس المصري (محمد انور السادات) برنامجاً للصلح مع الكيان الصهيوني(13)،

وظف الشاعر فيها الرمز التاريخي المتمثل بقصة كليب بن ربيعة والزير سالم وقصة الثأر الذي يطلب العدل التام والحق غير المنتَقص، مخالفاً بذلك لمعظم المدارس الشعرية في الخمسينيات التي كانت تستلهم رموزها من الميثولوجيا الغربية عامة واليونانية خاصة، وكأنه يحاول الهرب من واقعه المرير المليء بالصدمات والخيبات، الى الماضي حيث كان وقومه اعزاء بين الاقوام الباقية وكانوا سادةً على الجميع، على عكس الحاضر الذي يظهرون به يقاسون ويلات الاحتلال والتهميش والانكسار، هي "نوستالجيا" تخفف عنه قليلاً مما هو فيه من إحباطٍ ولومٍ لنفسه وللآخرين.

واعتمد دنقل هذه القصيدة للتعبير عن رفضه وعداءه الصريح والمباشر لإسرائيل وللخونة المتواطئين معها وللجبناء الذين يتقون مواجهتها ، وبسبب هذه القصيدة لقب دنقل بأمير شعراء الرفض.

وأهم تمثلات العدائية الفردية في قصيدة لاتُصالح:

لا تُصالح(14)

ولو منحوك الذهب

أتُرى حين افقأ عينيك

ثم اثبت جوهرتين مكانهما هل ترى

هي اشياء لا تشترى..

يفتتح الشاعر قصيدته بفعلِ امرٍ سيستمر في جميع مقاطع القصيدة العشر ،لا تُصالح، هو إعلانٌ تحذيري من اخٍ مغدور لأخيه الذي حط الثأر رحاله عنده بعدما قُتل اخيه غيلة وغدراً.

ويحذره أيضاً من تقلده الذهب والجواهر(قد يكون المقصود بالذهب هنا هو الجاه والمال والسلطة) لما فيه من نكرانٍ وبيع لدماء اخيه، الذي شبهه الشاعر بالعين التي لا ينفع بعد عماها شيء، والعين هنا قد تكون البصيرة التي تميز بين الحق والباطل، إذاً فالشاعر يحذر من مغبة بيع الضمائر وتسليم الاخوة وبيع دمائهم -وهي اشياء لا تُشترى- لقاء الجاه والمال وهي اشياء بلا ثمن.

ويتضح من لهجة الشاعر غضبٌ كبير متقد من فكرة تصالح ابناء امته مع اعدائهم، وتشديد على عدم ترك أي ثغرة للصلح مع من يعاديهم، وهذا ينم عن نفسية مضطربة وقلقة، وغياب تام للثقة بالجميع.

هل يصير دمي بين عينيك ماء؟

أتنسى ردائي الملطخ بالدماء؟

تلبس فوق دمائي ثياباً مطرزة بالقصب؟

إنها الحرب!

قد تُثقل القلب

لكن خلفك عار العرب

لا تُصالح

ولا تتوخ الهرب! (15)

بعد سيل الصور التي حشدها الشاعر للتحذير وايقاظ الضمير، المتمثلة بصورة الاخ المرمل بالتراب والذي سقى دمه الارض واخيه الذي يرفل فوق دمه لابساً ثياب الحرير، يأتي الإعلان الذي يفجر مشاعر العدائية في القصيدة -إنها الحرب- ينادي الشاعر ابناء امته ويحشدهم للحرب مع اعدائهم مفجراً بذلك كل مشاعر العداء والكراهية للآخر، يذكرهم الشاعر بأن الحرب ثقيلة ومحزنة ومدمرة ولكن هذا هو مصيركم المحتوم، فاذا لم تتقلدوا سيوفكم للحرب ضاعت فرصة إعادة امجادكم ووصمتم بالعار الذي سيلاحقكم الى الأبد.

يظهر الشاعر هنا ودمه يغلي حقداً وكراهية عداءً صريح على من سلبوه حياته ومجده وارضه ويحشد بذلك ابناء امته محذرهم ومهددهم من ضياع كل شيء.

لا تُصالح على الدم.. حتى بدم!

لا تُصالح! ولو قيل رأسٌ برأس

أكل الرؤوس سواء؟ (16)

هنا رسالة عداء غاضبة اخرى مضمونها: لا تصالح ولو بلغت ثأرك وقتلت من قتل اخيك، لا تصالح ولو اشتفيت ولو قالوا لك انك بلغت واسرفت في القتل، لا تُصالح ولو قالوا رأس اخيك بمن قتلتهم؛ فإن في ذلك شبهة تساوي الكريم مع اللئيم.

وهذا عين العداء والكره، وإلا فماذا يعني استمرار الحرب حتى بعد اخذ الثأر؟.

إن بنت اخيك "اليمامة"

زهرةٌ تتسربل -في سنوات الصبا-

بثياب الحداد

.... لا تُصالح!

فما ذنب تلك اليمامة

لترى العش محترقاً فجأة

وهي تجلس فوق الرماد؟! (17)

يوظف الشاعر رمزاً اخر وهو "اليمامة" رمز السلام ويصورها على انها ارملة يتيمة تجلس في خرائب بيتها الذي دمرته يد الغدر بقتلها لأبيها، واتخذ الشاعر هذا الرمز للضغط على اخيه في مواصلة الحرب.

لا تُصالح

ولو توجوك بتاج الامارة

كيف تخطو على جثة ابن ابيك...؟

وكيف تصير المليك

على اوجه البهجة المستعارة؟

كيف تنظر في يد من صافحوك

فلا تبصر الدم

في كل كف؟

إن سهماً اتاني من الخلف

سوف يأتيك من الف خلف

فالدم الآن صار وساماً وشارة

لا تصالح

ولو توجوك بتاج الامارة

إن عرشك: سيفٌ

وسيفك: زيفٌ

إذا لم تزن بذؤابته لحظات الشرف

واستطبت الترف. (18)

يواصل الشاعر تحذيره لأخيه من التصالح والسلام المزيف ويحذره من مغريات العدو له، فالمغريات الكثيرة تحاك ورائها الدسائس، وأن من اثخنته بالجراح واسقطت منه القتلى سيبقى حاقداً عليك وينتهز كل فرصة ممكنة ليغدر بك، كما غدر بي، لا تُصالح وإن توجوك بالعرش، فعرشك الحقيقي هو سيفك الذي تقاتل به، وسيفك زائفٌ إذا لم تصنع به لحظات الشرف الذي تخلدك وقومك، ولا تصنع لحظات الشرف بالصلح مع العدو والاستسلام لغدره.

لا تُصالح

ولو قال من مال عند الصدام

ما بنا طاقة لامتشاق الحسام

عندما يملأ الحق قلبك:

تندلع النار إن تتنفس

ولسان الخيانة يخرس (19)

يوصي الشاعر اخيه بأن يستمر بالقتال ولو كان وحيداً وقد جَبُنَ غيره، ويطمئنه بأن الحق هو وما سواه الباطل، ومن سمات الشخصية السايكوباتية أحياناً أن تكون "دوغمائية" تظن رأيها الحق الذي لا يأتيه الباطل، وما سواها هو الباطل، ويستمر عنادها حتى آخر لحظة.

لا تُصالح

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام

كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنس؟

كيف تنظر في عيني امرأة

انت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟

كيف تصبح فارسها في الغرام؟

كيف ترجو غداً.. لوليد ينام

كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام

وهو يكبر بين يديك بقلبٍ منكس؟ (20)

يستمر الشاعر بقتل أي فرصة للسلام واستعمال الصور العميقة للضغط على اخيه، وقد استخدم صورة في غاية الجمال والعمق: كيف تستنشق رئتين النسيم المدنس؟ كيف يتوافق النسيم العليل مع الهواء المدنس؟

يتوافقان اذا كان النسيم كناية عن السلام، والدنس كناية عن الشك والريبة والزيف، وكأنه اراد ان يقول إن أي سلامٍ مع العدو يكون بمثابة السلام المزيف الذي سيُنقض بعد فترة وجيزة من إقراره.

وينبه الشاعر اخيه بما سيفقده إذا قبل ذلك السلام المدنس، سوف يفقد مكانته ومكانة قومه وأمنهم، وسوف تكبر الاجيال تلو الاجيال منكسرة ومهزومة جراء ذل الاستسلام الذي يحطم آمالهم في السيادة وريادة الامم.

لا تُصالح

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام

وارو قلبك بالدم

وارو التراب المقدس

وارو اسلافك الراقدين

إلى أن ترد عليك العظام! (21)

نلحظ هنا نبرة استعلاء وعنف شديدة تزيد في لهيب العدائية في النص، يشدد فيها الشاعر على نبذ الآخر والايغال في الدم حتى يرتوي القاتل من دماء اعدائه ويروي دماء اجداده الذين قضوا في حروبٍ مشابهة، وقد يُقصَد بالأسلاف هنا التاريخ، ويعني الشاعر أن الدماء التي تراق اليوم تسقي امجاد الامس، وتمجد الماضي التليد الذي كانت تزخر به الامة.

لا تُصالح

ولو ناشدتك القبيلة

باسم حزن "الجليلة"

أن تسوق الدهاء

وتُبدي لمن قصدوكَ القبول

سيقولون:

ها أنت تطلب ثأراً يطول

فخذ الآن ما تستطيع:

قليلاً من الحق..

في هذه السنوات القليلة (22)

يواصل الشاعر استخدام الرمز متمثلاً "بالجليلة" وهي بحسب القصة زوجة "كليب" الملك المغدور، التي سيستخدمها الجانب الآخر في المفاوضات، وهي كناية من الشاعر عن الخسائر البشرية التي تتمخض عن الحرب، ويريد الشاعر القول ان على اخيه أن يحارب رغم الخسائر، وأن لا يرضخ لدعاوى الانسانية الزائفة التي سيستخدمها العدو، فهم لم يحترموها في المقام الاول، ويجب عليه اقتناص كل فرصة للثأر مهما كانت الفرص نادرة، ومهما كانت الانتصارات قليلة، فشرف الفارس ليس بالنصر، بل بالقتال المستمر.

إنه الثأر

تبهتُ شعلته في الضلوع..

اذا ما توالت عليها الفصول..

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس)

فوق الجباه الذليلة! (23)

يستمر تأكيد الشاعر على الثأر، وهو إلحاح يساوي تقريباً إلحاحه على النهي عن الصلح في كل مقاطع القصيدة، ويؤكد على ضرورة الاستعجال بنشوب حرب الثأر قبل أن تبرد العزائم مع الزمن، ويزيد تقبل الناس -القبيلة- للجريمة وتفرقهم من حول مليكهم الجديد، واذا كان ذلك فهو العار الذي يرسم اصابعه الخمسة على وجه الملك ذو العرش الزائف والسلام المهدد.

لا تُصالح

الى ان يعود الوجود لدورته الدائرة:

النجوم.. لميقاتها

والطيور.. لأصواتها

والرمال.. لذراتها

والقتيل لطفلته الناظرة (24)

يحدد الشاعر هنا موعداً للصلح وتقبل السلام، لكنه يضع في هذا الموعد شروطاً تعجيزية لا يمكن أن تتحقق، فيطلب إزاء الصلح عدة مطالب، ان يعود الزمن لسريانه الطبيعي قبل أن يتوقف بسبب حادثة الغدر.

إن تعود النجوم لميقاتها والرمال لذراتها -وهي اشارة لتراب الوطن الذي استبيح وغزاه الغزاة- والذي لن يعود بدون قتال ، والاهم، عودة الملك المغدور من العدم ليحتضن ابنته التي شاهدته يقتل امام عينيها ،كل

هذه الشروط التي لن تتحقق ابداً تحيل فهمنا الى استمرارية الحرب والنهي عن الصلح حتى موعد تحققها، الذي لن يأتي أبداً.

لا تُصالح

فما الصلح إلا معاهدة بين نِدّين

(في شرف القلب)

لا تُنتَقص

والذي اغتالني محض لص

سرق الارض من بين عينيّ

والصمت يطلع ضحكته الساخرة! (25)

تنبيه خطير يصادفنا، الا وهو شبهة التساوي في حال قبول الصلح، التساوي بين الملك النبيل الفارس الهمام من جهة، والغادر الدنيء الجبان من جهة اخرى، أن قبول الصلح في هذه الحالة يعني الاعتراف بالغادر كفارس حارب واجبر خصمه على قبول التصالح، وهذا التعالي في معاملة الآخر يعد واحداً من مزايا الشخصية السايكوباتية، كما اسلفنا.

يظهر الشاعر في كل مقاطع القصيدة غضباً منادياً بالحرب والعداء رغم كل دعاوى السلم ورغم كل الخسائر، مبرراً ذلك بالعار الذي سيلحق قومه إذا قبلوا الصلح على حساب الدم وضياع الثأر، كما أن التعنت والعناد مرجعه فقدان الثقة والقلق من مصير امته الذي يخيم عليها شبح الاستسلام للذل.

وهذا العناد قد لا يتفق معه الجميع، لأن الحرب من اجل الثأر قد تكون مشروعة، لكن استمرار الحرب حتى بعد إدراك الثأر فهذه مبالغة شديدة قد تزج الامة في اتون حربٍ عبثية تفقد تأييدها من الجميع وتخرج عن إطار الشرعية، وهذا كله **عدائية فردية** مرجعها نفسية الشاعر المضطربة، التي من شدة غضبها وعدائها لم تعد تعترف بحدود لذلك العداء.

المحور الثاني: العدائية التكتلية "الجماعية"

تشكل العدائية التكتلية امتداداً طبيعياً للعداء الفردي ولكنها تكون في بعض الاحيان اخف وطأة واعم واشمل، ويمكن ان تكون عدائية عرق لعرق، أو شعب لشعب، او قبيلة لقبيلة، او مجموعة لمجموعة وغيرها، وجوهر هذه العدائية غالباً ما يكون التعصب والاستعلاء الصادر من مجموعة تجاه مجوعة اخرى، والتعصب لغة يعني التجمع، والمقصود به التجمع المعنوي اكثر من كونه تجمع حسي(26).

ويُعد التعصب مشكلة جوهر وجودها هو وجود الكيان الانساني السوي، فإذا آمن الفرد بهذا النمط من السلوك في التعامل مع فرد بعينه او مجموعة بعينها، فهو يعد اضطراباً في معيار الصحة النفسية أو العقلية، وهو صراع داخلي يحدث للفرد ويتم عنه اختلال التوازن، بمعنى أن الفرد المتعصب هو بحكم المريض عقلياً ونفسياً لما يتميز به من جمود وتصلب في الرأي(27).

يدعم هذا القول عالم النفس المصري مصطفى زيود بقوله ان التعصب ظاهرة اجتماعية لها بواعثها النفسية، ومن وجهة نظرهم هذا يفسر عملية الاستعاضة عن العدوان بالتعصب ليكتسبوا موقفاً غالباً ما يكون وهمياً(28).

وهذا الشي ينطبق على الشارع العربي الذي اتخذ من العداء والتعصب بديلاً عن العدوان والعنف، فنظموا المظاهرات والمسيرات التي تدعم فلسطين وتعلن العداء الصريح للكيان الإسرائيلي المحتل، وهنا يأتي

دور دنقل كغيره من شعراء الرفض، حيث كان من بين ابناء الشعب الرافضين للصلح مع اسرائيل وكانت قصائده تُلقى في المظاهرات على لسان الألاف.

وأهم تمثلات العدائية التكتلية في قصيدة لا تُصالح:

ذكريات الطفولة بين اخيك وبينك،

حسكما فجأة بالرجولة،

هذا الحياء الذي يكبت الشوق.. حين تعانقه،

الصمت مبتسمين لتأنيب امكما .. وكأنكما

ما تزالان طفلين! (29)

يتذكر الشاعر -متقمصاً دور الشعب- ذكريات الطفولة الجميلة للشهداء مع أُسرهم قبل ان تغتالهم يد الغدر الجبانة، راسماً صوراً رائعة، منها ابتسام الاخوة في تآمرٍ لطيف وهم يستمعون لتأنيب امهما على مشاغباتهما، قبل ان تُخترق محاجر اعين احدهما وتُثبت فيهما جوهرتين باردتين معلقٌ بهما وثيقة استسلامٍ وصلح مع من ارتكب الجريمة.

ويستفز الشاعر مشاعر الشعب بتذكيره بمواقف الطفولة الجميلة في الوطن السعيد قبل ان يتلاشى كل ذلك، فيقتل الاخ وتسبى ابنته ويستباح الوطن ويتسلم الخونة مقاليد الحكم ويطلبون منه التسليم والصلح، ومشاعر الفقد التي في هذا المقطع من القصيدة تعتبر واحدةً من مغذيات العداء والكراهية لدى الفرد.

تلك الطمأنينة الابدية بينكما:

أن سيفان سيفك

صوتان صوتك

أنك إن متَّ:

للبيت رب

وللطفل أب (30)

يستمر الشاعر في تقمص دور الشعب المحزون على ما فقده، فهو لم يفقد الذكريات الجميلة ومشاعر الاخوة فحسب، بل فقد معه الأمن الذي كان يوفره الأخ ،أن الاخ كان يمثل الصوت الذي يقف معك ظالماً او مظلوماً، والسيف الذي ينصرك في كل موقفٍ وموطن، ومهما كانت غايتك من القتال ،هذا كله لا يُعوض ولا يُجازى بكل اموال العالم، ولا يجازى حتى بملك سليمان، فلا شيء يضاهي شعور الامان في وجود الاخ، وقد يقصد الشاعر -كما اسلفنا- الشعب العربي ومشاعر الاخوة والالفة بينهم حين يصور الاخ في هذا المقطع من القصيدة.

أقلب الغريب كقلب اخيك؟!

أعيناه عينا أخيك؟!

وهل تتساوى يدٌ.. سيفها كان لك

بيدٍ سيفها أثكلك؟ (31)

هنا يوجه الشعب رسالة لضعيفي الهمة والمتعاطفين مع العدو، وهو تساؤلٌ عن كيف يتساوى قلب الغريب المتحجر الذي قتل اخيك، مع قلب اخيك الحنون الذي كان يحنو عليك؟

هل عين الغريب التي رصدتك وصوبت نحوك وقتلك، تشبه اعين اخيك التي ذرفت الدموع عند وجعك وكربتك كما ذرفتها فرحاً لفرحك؟

وهل يد الغريب التي ضربتك وهدمت بيتك وسبت نساءك، تشبه يد اخيك التي بنت لك بيتاً ولاعبت لك ابنةً وربتت على كتفك لتزيل كربك؟

كل هذه المقارنات غير جائزة؛ لأنها تفتقد للمنطق، وتفقد القضية هيبتها، وتساوي بين الكريم والزنيم لذا فهي بمثابة رسالة وتنبيه للمتعاطفين، وفرصة للمخطئين الذين باعوا قضيتهم لإعادة النظر وتحكيم العقل واسترداد كرامتهم بما باعوه لقاء المال.

سيقولون:

جئناك كي تحقن الدم..

جئناك. كن يا امير الحكم

سيقولون :

ها نحن ابناء عم

قل لهم: انهم لم يراعوا العمومة في من هلك (32)

يؤكد الشعب رفضه للحجج ودعاوى السلام الكاذبة التي ستأتي بها الشعوب للضغط عليهم من اجل الصلح، ويؤكد بأن هذه الدعاوى الزائفة لن تنطلي عليه ولن يغير موقفة المعادي لمن قتله واغار عليه.

وهذا العناد هو احد ابرز مميزات الشخصية العدائية لدى الافراد:

واغرس السيف في جبهة الصحراء

إلى أن يجيب العدم

إنني كنت لك

فارساً،

وأخاً،

وأباً،

وملك،

يدعو الشعب هنا الى الثبات على العداء الى الأبد و" إلى أن يجيب العدم" وعدم التخلي عن القضية والتعاطف والتعامل مع العدو، وأن من سقط كان كل شيء لهم، كان الفارس الذي يذود عن حماهم ومضاربهم، والأخ الذي يناصرهم في كل موطن ،والأب الذي يرعى أبنائهم ويسد حاجتهم، والملك الذي يعزهم ويرفع شأنهم بين الدول والشعوب، وتخليد ذكرى هؤلاء يتم من خلال الثبات على عداء من اغتالهم وسَبَبَ خراب ديارهم.

انه ليس ثأرك وحدك

لكنه ثأر جيلٍ فجيل

وغداً

سيولد من يلبس الدرع كاملةً،

يوقد النار شاملةً،

يطلب الثأر

يستولد الحق

من اضلع المستحيل (33)

يلتفت الشاعر مديراً ظهره لأخيه، ومتوجهاً للشعب مخاطباً لهم، بأن هذا الثأر ليس خاصاً بهم وحدهم، بل هو ثأر يتوزع على الاجيال القادمة الى أن يرجع الحق كاملاً غير منتَقَص، وتعود عزتهم الى ما كانت عليه قبل ذلهم.

لا تُصالح

ولو قيل ان التصالح حيلة

يبوح الشاعر بلسان قومه ويفضح المنافقين الذين برروا التصالح بأنه حيلة للالتفاف على العدو، وقد حصل هذا فعلاً، عندما صرح بعض القادة المقربين من الحكومة بأن معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ما هي الا حيلة ستوقع بالإسرائيليين في الفخ، وانها تنم عن ذكاء الرئيس، في محاولة لامتصاص غضب الشارع.

لا تُصالح، ولو حذرتك النجوم

ورمى لك كهانها بالنبأ..

كنت اغفر لو اني متُّ

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ(34)

الشعب هنا يفضح رجال الذين اتخذوا جانب العدو، واصدروا الفتاوى التي تحرم الثورة ضد ولي الأمر الذي يريد أن يصالح العدو، واعتبار رأيه هو الرأي الصحيح وأنه يعلم بمصلحة الشعب أكثر من الشعب نفسه.

يفضحهم الشعب ويعريهم من ستارهم الديني الذي اتخذوه لاختراق الشعب وتفريق جمعهم بالخرافات والتنجيم والاستخدام الخبيث للكتب السماوية.

فرأيت: ابن عمي الزنيم

واقفاً يتشفى بوجه لئيم

من المعلوم أن العرب تربطهم قرابة باليهود عن طريق النبي ابراهيم، فهم ابناء عمومة، وقد استخدم الشاعر هذه القرابة لبيان شدة قبح الجريمة التي اتى بها ابن العم، وللتأكيد على كراهية الشعب العربي لهذه القرابة التي استخدمها بعض المنافقين في محاولة التخفيف من حدة الكراهية بين "أبناء العم".

والذي اغتالني: ليس رباً

ليقتلني بمشيئته

ليس أنبل مني .. ليقتلني بسكينته

ليس امهر مني.. ليقتلني باستدارته الماكرة (35)

تحدث الشاعر بلغة قومه الذي كان يكمّن حقداً على عدوه وينظر اليه باستعلاء وكبرياء شديدين، فيري انه ليس جديراً بالصلح، لأنه ليس انبل منه، ولا امهر منه ليخافه في ساحة المعركة، وأنه اقل من أن يُحسب

له حساب، وأنه ما تمكن منه إلا بالغدر، فهو جبانٌ ولئيم يخاف المواجهة ولا يقتل إلا غدراً ،ونظرة الاستعلاء هذه تعد من صفات الشخصية السايكوباتية كما اسلفنا، وهي هنا منتشرة بين الجماهير.

لا تُصالح

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ

والرجال التي ملأتها الشروخ

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق اعينهم

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ (36)

ينتقد الشاعر -متقمصاً الشعب- جميع من يقف مع الصلح ويعمل على انجاحه، ويعمل في ذات الوقت على تثبيط عزم الشعب في الكفاح من اجل قضيته ،ويعتبرهم انصاف رجال، فنصفهم الاخر قد ملأته الشروخ التي مسختهم وجردتهم من العزة والكرامة والرغبة في الحرية والعدالة، وعمائمهم -التي تعد كناية عن المنصب الرفيع- قد تدلت فوق اعينهم وافقدتهم البصر والقدرة على تمييز الحق من الباطل واتباعه، وسيوف اسلافهم التي فتحوا بها البلاد، صارت من اجل الزينة فقط .

هؤلاء من وجهة نظر الشعب اسوء من الخونة، إذ لا يمكن عقابهم بسبب مناصبهم الرفيعة، ولا يمكن السكوت عنهم كذلك، لذا فهم خطر على كفاح الشعب، ويجب على الشعب الا يلتفت لما يقولون.

لا تُصالح

فليس سوى أن تريد

انت فارس هذا الزمان الوحيد

وسواك.. المسوخ! (37)

يعاند الشعب ويصر على رأيه ويتعنت به ويصرح تصريحاً شديد اللهجة، بأن رأيه هو الحق المبين وما سواه الباطل، وأن الشعب هو الفارس الذي سيسترجع الحق من ايدي العدو، ومن بقي غيره -يعني من وقف معارضاً للحرب و حتى المحايدين- فهم المسوخ.

لا تُصالح

لا تُصالح

يكرر الشاعر هذا النهي الذي تكرر في كل مقاطع القصيدة التسع لمرتين في المقطع العاشر والاخير في القصيدة، وكأنها تختصر كل ما فات، وتعيد صياغته بكلماتٍ موجزةٍ لها وقعٌ صاخبٌ في النفس:

لا تُصالح

لا تُصالح

ولابد من الوقوف علي نتيجة واضحة فقد حاولت انتخاب الابيات التي تتضمن خطاباً عدائياً يصدر -في معناه- على لسان الشعب، والحقيقة ان القصيدة في مجملها هي خطاب عداء صريح وواضح وله وقعه في النفس، وتنطبق عليه معظم الدوافع التي تساهم في تكون مشاعر العدائية.

لقد اتفق الشعب في عدة مرات مع الشاعر، والشاعر نفسه قد تقمص دور الشعب في عدة مرات في القصيدة، واما طبيعة الابيات التي اتفق فيها الشعب مع الشاعر فهي الابيات التي تضمنت عداءً بدون عنف، واقتصرت على اتخاذ الموقف السلبي من الاخر، وزاد في حدتها التعصب للرأي الذي طغى على القصيدة عموماً، والابيات التي تضمنت عدائيةً تكتلية على وجه الخصوص .

نتائج البحث :

نستخلص من رؤيتنا لنص لا تُصالح أهم النتائج التي نطرحها كالآتي :

– يحمل النص ماهية العدائية أو العدوانية، فكل حالة لها رمزيتها المتوافقة مع عقلية الأديب، فكل ردة فعل هي نتاج تراكمات ذاتية تهتز لأسباب عاطفية .

– ارتبطت حالة الشاعر مع التماهي العدائي (السايكوباتي) الذي هو مسار يتخذه للهروب من حالته الشخصية ومشكلاته النفسية، مما انتج الغضب والقوة العنصرية التي لمست ذاته بشكل خاص.

– يمتلك النص الأدبي الحقيقة الفعلية التي تناسب جميع متلقيها سواء بطرح الفكرة أو بيان النظرة السايكوباتية العامة التي يعاني منها جميع الأفراد فـ(العدائية الجماعية) لها خصوصية في النص الأدبي لكونها علاقة يمتلكها المتلقي اكثر من الأديب.

– يرى الباحث ان النص يمتاز بكونه عدائياً بأمتياز، وأن العدائية قد توزعت على جميع مقاطع القصيدة بحيث لم نجد مقطعا قد خلا منها ، فأن الشاعر قد استخدم اليات كالتحريض والدفع بأتجاه الحرب ورفض الصلح ، وان الرفض يمثل استعلائا صادراً من ذات الشاعر، وان الاستعلاء هو احد ميزات الشخصية السايكوباتية ، وأن السايكوباتية هي احد تمثلات الشخصية العدائية فبالتالي نرى ان النص كان يحتوي على عدائية صريحة انقسمت الى فردية وتكتلية كما اسلفنا .

الهوامش :

1- لابلانش laplanche 1973 معجم مصطلحات التحليل النفسي .ت.د.مصطفى حجازي

2- حسن مصطفى عبد المعطي(الاضطرابات النفسية، ط1، ٢٠٠١،ص٣٤-٥٤)

3- احمد الزعبي(مشكلات الاطفال النفسية،٦٥،٢٠٠٥)

4- احمد الزعبي(مشكلات الاطفال النفسية،٦٥،٢٠٠٥)

5- (عويس،٤٤:١٩٦٨)

6- (حمزة، ٣٥:١٩٩٤)

7-(21: buss1961(الشخصية العدوانية وتمثلاتها في نصوص غسان كنفاني المسرحية)

8- (اللهيبي،١٤:٢٠٠٥)

9- (كولن ويلسون- سيكولوجية العنف،ت.مالك الايوبي،١٠:٢٠٠٦)

10- (فيصل عباس، جدلية الحق والقوة: ١٠٧).

11- السلطاني(١١٨ :٢٠٠٦)

12- بوابة الشعراء- امل دنقل:٢٠٠٥

13- صباح الاسمري: ٥٤

14- الديوان :327

15-الديوان :328

16-الديوان :329

17-الديوان:331

18-الديوان:332

19-الديوان:333

20-الديوان:334

21-الديوان:334

22-الديوان:335

23-الديوان:336

24-الديوان:338

25-الديوان:339

26-الديوان:327

27-الديوان:328

28- الجابري، ١٩٩٢: ١٦٨

29- محمود حماد وداود الزير، م٣٠ ص٥: ٢٠٢٢

30- الامارة، ٢٠١٩

31-الديوان:329

32-الديوان:329

33-الديوان:336

34-الديوان:336

35-الديوان:339

36-الديوان:340

37-الديوان:340

المصادر :

1-احمد الزعبي، مشكلات الاطفال النفسية،(دمشق ك دار الفكر للنشر) ٢٠٠٥.

2-امل دنقل: الاعمال الشعرية الكاملة، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط1، 2010.

3-الجابري، عمر عابد(١٩٩٢). "فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي" ط١، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.

4-حسن مصطفى عبد المعطي، الاضطرابات النفسية،(القاهرة: مكتبة القاهرة للكتاب للنشر والتوزيع) ط1.

5-حمزة، فرحان محمد(١٩٩٤): العدائية لدى طلبة الجامعة المقبولين والمرفوضين اجتماعياً، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الآداب، بغداد-العراق.

6-صباح الاسمري، "النسق الثقافي في قصيدة لا تصالح" م٣٤، ٢٠١٦.

7-عويس، سيد(١٩٦٨) "محاولة في تفسير الشعور بالعداوة" ط١: ،دار الكتب، القاهرة- مصر.

8-فيصل عباس، "العولمة والعنف المعاصر(جدلية الحق والقوة)،٢٠٠٨ ، بيروت، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر.

9- اللهيبي، زكريا عبد احمد(٢٠٠٥)" العدائية وعلاقتها بأساليب التنشئة الاجتماعية لدى طلبة الاعدادية، كلية التربية- جامعة تكريت، (رسالة ماجستير غير منشورة).

المصادر الاجنبية:

1- Buss,A,H.(1961): the phycology of aggression. Newyork, john Wiley&sons.
2- Laplanche, and pontalis, j.B.(1973), the language of psycho analysis. The hogarth press.
3- Saul, J.leon. (1980): the childhood emotional pattern and human hostility. N.yilitton educational publishing.

المواقع الالكترونية:

١-الامارة، اسعد،(٢٠١٩) "التداعيات النفسية والاجتماعية لظاهرة التعصب" مجلة النبأ المعلوماتية:

Https://m.annabaa.org/arabic/annabaamagazine/18123

٢-بوابة الشعراء، امل دنقل: ٢٠٠٥ على موقع:

Https://poetsgate.com/poet.php?pt=119

٣-السلطاني(العدوانية وعلاقتها بتقدير الذات)٢٠٠٦: ١١٨

من موقع:

%D8%A8%D8%AA%D9%82%D8%AF%D9%8A%D8%B1-
%D8%A7%D9%84%D8%B0%D8%A7%D8%AA

٤- مالكولم ماك ميلان ، تقييم فرويد ، 1997 ص496

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%d8%aa%d9%85%d8%a7%d9

محمود محمد حماد& داود حسان الزير، "مظاهر العصبية القبلية في النزاعات العشائرية في جنوب الضفة الغربية، ٢٠٢٢: ٤-٥ على موقع: Https://doi.org/10.35192/jjoas-h.v30i1.122